الأفعـــال الكلامية في سورة نـــــوح

(دراسة تداولية)

أ. ناديـــــن عليّ خميـــــر
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب
جامعة الزاوية

تقديم:

يتناول هذا البحث الأفعال الكلاميّة، التي يصدرها المتكلم لتحقيق إنجازية معينـــة، مـــن خلال النطق بها لغرض التأثير في المتلقي، وحمله على فعل شيء ما، أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام، أو وعد، أو إفصاح عن حالة نفسيّة معينة، وقد تنوعت هذه الأفعال من خلال تنوع الحوارات التي تضمنتها السورة، وتشمل الحوار بين الله–سبحانه وتعالى–ونوح –عليه الســـلام، والحوار بين نوح–عليه السلام–وبين قومه، وحوار قومه مع بعضهم البعض، فتنوعـــت القـــوة الإنجازية للأفعال الكلامية بحسب الحوار ومقصد الكلام.

مفهوم الفعل الكلامي وخصائصه:

اتسع استخدام مصطلح الفعل الكلامي بين الدارسين، واختلفت تعريفاته تبعا لاختلاف المرجعيات التي ينطلقون منها، وحسب المتفق عليه، فإن الفعل الكلامي يقصد به التحدّث بما يعني تحقيق أفعال لغوية، أي أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً على أنه يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب، والأمر والوعد، والوعيد[1]، وللفعل الكلامي عدة خصائص تتمثل في[2]:

1- إنه فعل دال.

2- إنه فعل إنجازي، أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات.

3- إنه فعل تأثيري، أي يترك أثراً معيناً في الواقع.

ولهذا فإن وظيفة الفعل الكلامي تداولية، حجاجية، إقناعية في الوقت ذاته، تهدف إلى تصحيح وجهة نظر الطرف الآخر، أو تعديل سلوكه أو موقفه"[3] وتنقسم الأفعال الكلامية إلى قسمين:

1- أفعال كلامية مباشرة:

تتمثل في الأفعال الانشائية المتعلقة بالصيغة المباشرة، وشروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة، كالسؤال، والتقرير، واستعمال مختلف الوسائل التي يتوافر عليها المتحدثون لكي يتواصلوا، ويبلغوا فعل الكلام إلى المتلقي، تتمثل الأفعال الكلامية المباشرة[4] في:

1- أفعال التكليف.

2- أفعال الأسف والحسرة.

3- الوعد والوعيد.

2- الأفعال الكلامية غير المباشرة:

هي التي يستطيع المرسل أن يعبر بها عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة، بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهرياً، وقد يعدل عن ذلك، فليمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق؛ لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه وهذا يؤدي إلى نتيجة مهمة، وهي مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد، وعلى هذا فإن الفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة في دلالتها عن مقتضى الظاهرة، وهي أفعال سياقية لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن اللسانية، والحالية، وأضرب الاستدلال العقلي[5].

وتعد الأفعال الكلاميّة جزء من اللسانيات التداولية، إذ أنها انبثقت من أبحاث الفلسفة التحليلية، التي تدرس وظائف المنطوقات وخصائصها، فظهرت نظرية الأفعال الكلامية في مدرسة كمبردج ومدرسة السفورد، بجهود الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين، حيث عرضها في كتابة المعنون بـ(نظرية أفعال الكلام العامة، وأصل هذا الكتاب محاضرات ألقاها على طلبته في جامعة هارفرد سنة 1955 تم[6] تطورت وازدهرت فيما بعد على يد تلميذة جون سيرل، ويمكن توضيح جهودهما في هذا الجانب على النحو الآتي:

أوّلاً- الأفعال الكلامية عند أوستين:

اهتم أوستين بلغة التداول وركز على ضرورة مراعاة الجانب الاستعمالي للغة، وذلك طبقاً لمقامات التخاطب، فاللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الأفكار، ووصف الأشياء فقط، بل هي ميدان تنجز فيه الأعمال، وهذا ما دفع أوستين إلى الاعتراض على التقسيم التقليدي للقضايا والجمل إلى خبرية، وإنشائية، لأن هناك نوعاً من الجمل لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب،

فانطلق من هذا الاعتراض بالتساؤل حول كيف ننجز الأفعال، حين ننطق قولاً؟ وميز في إجابته بين هذه الأفعال، وصنّفها على النحو الآتي[7]:

1- فعل القول: ويتمثل في التلفظ بأصوات ما، ويتضمن هذا الصنف ثلاثة أفعال فرعية، وهي:

أ- الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة ما.

ب-الفعل التركيبي: وهو إنتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.

ج- الفعل الدلالي: ويتمثل في الربط بين الكلمات ودلالتها حسب ما تحيل إليه.

وهذه الأفعال التي يتضمنها فعل القول، متداخلة فيما بينها، حيث إنها تنجز وفقاً لقواعد نحوية وتركيبية، يؤدي دلالة معينة، فعندما نقول: أغلق الباب، فإننا ننجز فعلاً قولياً، يتضمن فعل الصوت؛ وهو التلفظ بهذه الجملة، والفعل التركيبي: وهو إنتاج هذه الكلمات، وخضوعها لقواعد التركيب، والفعل الدلالي: ويتمثل في الربط بين الكلمات ودلالتها.

2- الفعل الإنجازي: هو عبارة عن فعل ينجز بواسطة القول، ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي، من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والنصح، والتحذير، وغيرها.

3- الفعل التأثيري: ويتمثل في الأثر الذي يتركه الفعل الإنجازي في نفسية المتلقي، فيظهر في رد فعله، فقد يغضب مما سمعه، وفهمه، وقد يفرح، أو يشعر بالإحراج، والحزن، فالمتكلم يسعى من وراء ملفوظة، إلى التأثير على أفكار ومشاعر المستمع.

قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام[8]:

1- أفعال الأحكام، أو الحكميات: وتتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم.

2- أفعال القرارات أو الانفاذيات: وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.

3- أفعال التعهد، أو الوعديات: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء مثل: الوعد، والضمان، والتعاقد والقسم.

4- أفعال السلوك: وهي التي تكون رد فعل لحدث ما، كالاعتذار والشكر والمواساة.

5- أفعال الايضاح أو العرضيات: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض والتشكيك والإنكار والموافقة، والتصويب، والتخطئة.

وإنجاز فعل من هذه الأفعال يكون من خلال النطق بجملة، أو عدة جمل في سياق مناسب لها، كأن تقول: اترك الولد، فهو فعل لغويّ تضمن الأمر بترك الولد وهو من أفعال الأحكام التي صنّفها أوستين ويقع أثر هذا الفعل على المتلقي بالرّفض أو بقبول الأمر.

ثانياً- الأفعال الكلامية عند سيرل:

عمل جون سيرل تلميذ أوستين على تطوير نظرية الأفعال الكلامية وفق بعدين رئيسيين هما "المقاصد والمواضعات"[9]، فقدم مفهوماً لبنية الفعل الكلامي مقتضاه[10]:

1- الفعل المنطقي: ويتمثل في النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

2- الفعل القضوي: يمثل قضية تتألف من طرفين، متحدث عنه، أو متحدث به أو الخبر أي أنه مقصود المتكلم من خلال الفعل النطقي.

3- الفعل الإنجازي: يمثل عند سيرل الوحدة الصغرى للاتصال اللّغوي، وهو الذي يصب معظم اهتمامه عليه.

4- الفعل التأثيري: وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي.

وقسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي [11]:

1- التوجيهيات: وغرضها الإنجازي توجيه المتلقي لفعل شيء ما واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة الصادقة.

2- الإلزاميات: وغرضها الإنجازي هو إلزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد.

3- الإعلانيات: غرضها الإنجازي يكمن خلف الأداء الناجح لها من خلال مطابقة المحتوى القضوي للعالم الخارجي، أي مطابقة المقصود بالمعنى الأصلي، واتجاه المطابقة يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، أما شرط الإخلاص فلا يحتاجه هذا الصنف.

4- التعبيريات: غرضها الإنجازي هو التعبير عن المواقف النفسية تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقاً للعالم ولا العالم مطابقاً للكلمات.

5- الإخباريات: وغرضها الإنجازي هو وصف المتكلم واقعة معينة، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في صدق المتكلم، ونقله الأمين للواقعة.

وقد اعتمد على أسس منهجية لهذا التصنيف هي[12]:

1- الغرض الانجازي للفعل الكلامي.

2- اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم.

3- شرط الإخلاص في صدق المتكلم، ورغبته في تأدية الفعل الكلامي.

وميز سيرل بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة، وحرفية لما يريد أن يقول، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي

تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم[13] أي أنّ الفعل الكلامي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، فيكون معنى منطوق المتكلم غير مراده.

نماذج تطبيقية للأفعال الكلامية في سورة نوح:

1- التوجيهيات:

تضم كل الأفعال الدالة على الطلب، وتتمثل في الاستفهام والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، وغيرها، وفيما يلي توصيف للقوة الإنجازية لأهم الأفعال الكلامية في سورة نوح:

أ- الاستفهام:

ويقصد به طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً، أي طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، والاستفهام إمّا خبري وله ضربان هما: استفهام إنكار واستفهام تقرير، وإما إنشائي، أصنافه كثيرة منها: العرض والتّحضيض والنّهي، والتّمني، والتّنبيه، والدعّاء، وغير ذلك، وتمثل هذه الأضرب القوة الإنجازية، للفعل الكلامي (الاستفهام) عند التداوليين المعاصرين[14]، وفي سورة نوح نجد أنّ القوّة الإنجازيّة تكمن في المعاني التي أراد المتكلم تحقيقها، فقد أراد نوح في تسليط استفهامه توبيخ قومه، وهو استفهام صورته صورة السؤال عن أمر تبث لهم في حال انتفاء رجاءهم توقير الله، كذلك انتقل إلى الاستدلال بآثار وجود الله وحدانيته وقدرته، مّما في أنفسهم من الدلائل إلى ما في العالم منها[15]، وفيما يلي نموذج يبين القوة الإنجازية للاستفهام في سورة نوح:

1- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ الفعل الكلامي: (ما لكم لا ترجعون)، ويتكون من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (يرجون) وموضـــوعه الفاعل المتمثل في (واو) الجماعة، وما الدالة على الاستفهام، والجار والمجرور (لله)المتعلقـــان بالفعل، والمفعول به وقاراً.

فعل إحالي: إحالة إلى قوم نوح عن طريق الإشارة لهم بواو الجماعة.

فعل دلالي: يتمثل في توبيخ نوح لقومه عن أمر تبث لهم في حال انتفاء رجاءهم توقير الله[16].

فعل إنجازي: تتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام التقريري من نوح لقومه، مكنى به عن الإنكار بعدم علمهم بدلائل ما يرونه من قدرة الله.

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في عصيان قوم نوح وعدم خوفهم من بأس الله ونقمته.

2- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ الفعل الكلامي: (ألم تروا) ويتكون من:

فعل إسنادي: يتمثّل في محمول الجملة الفعليّة المكونة من الفعل (تـــروا) وموضـــوعه الفاعل المستتر (أنتم)، والاستفهام بـــ (ألم) والجملة الفعلية (خلق الله سبع) التـــي ســـدت مســـد مفعولي (تروا).

فعل إحالي: إحالة إلى قوم نوح عن طريق الإشارة إليهم بالضّمير المستتر (أنتم).

فعل دلالي: يتمثل في الاستفهام والاستدلال بآثار وجود الله ووحدانيته.

فعل إنجازي: وتتكوّن حمولته الإنجازية من:

قوّة إنجازيّة حرفيّة: تتمثّل في سؤال نوح لقومه، ألم يبلغكم كيف خلق الله سبع سموات طباقاً، فتتعظوا، وهو استفهام تقريري، يحمل التوبيخ والإدانة، والرؤية المقصودة في الآية القرآنية هي الرؤية القلبية [17].

قوة إنجازية مستلزمة: التنبيه إلى خلق السموات والأرض، وما فيها من دلالات على أنها مخلوقة وأن خالقها يستحق العلو والعظمة والعبادة.

ب-الأمر والنّهي:

هو "طلب حصول الفعل من جهة أعلى على وجه الإلزام، وهو المعنى الحقيقي للأمر"[18]، ولا يختلف النّهي في ذلك عن الأمر، يقول المبرد: "إعلم أن الطلب من النّهي بمنزلته من الأمر" يجري على لفظه كما جرى لفظ الأمر" [19] ولهذا الفعلان قوّة إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده، هي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عليه [20]، وفيما يلي نموذج يبيّن القُوّة الإنجازية للأمر والنّهي في سورة نوح:

1- قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾.

الفعل الكلامي: (لا تزد) ويتكون من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (تزد) وموضوعه الفاعل المستتر (الله) ومفعولية (الظالمين وضلالاً).

فعل إحالي: الإحالة إلى الله-سبحانه وتعالى- بالإشارة إليه بالضمير المستتر.

فعل دلالي: طلب نوح من الله-سبحانه وتعالى-أن يزيد الظالمين أنفسهم بكفرهم ضلالاً[21].

فعل إنجازي: تتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: إيقاع الأمر بصيغة الدعاء بالزيادة في ضلالهم بسبب اليأس من نفع دعوته إياهم.

قوة إنجازية مستلزمة: الإعراض والتّمرد عن سبيل الله عقابه الضلال وهـو الإهانـة والألم الناتج عن العذاب.

2- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾.

الفعل الكلامي: (لا تذرن) ويتكون من:

الفعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول الفعل (تذرن) وموضـوعه الفاعل المحذوف المتمثل في الواو.

فعل إحالي: إحالة إلى الكافرين من قوم نوح بالإشارة إليهم بالضمير المحـذوف وهـو الواو.

فعل دلالي: إصرارهم على التمسك بآلتهم، ونهي بعضهم البعض عن تركها [22].

فعل إنجازي: وتتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: النهي عن ترك عبادة ألهتهم.

قوة إنجازية مستلزمة: الإعراض والصد يقتضي التشبث بما يؤمنون به من أصنام.

3- قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾.

الفعل الكلامي: (اغفر لي) ويتكون من:

فعل إسنادي: يتكون من محمول الفعل (اغفر) وموضوعه الفاعل المستتر (الله) والجار والمجرور المتعلقان بالفعل.

فعل إحالي: إحالة إلى الله بالإشارة إليه بالضمير المستتر.

فعل دلالي: طلب نوح من الله-سبحانه وتعالى- المغفرة له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً بالله [23].

فعل إنجازي: تتكون حمولته الانجازية من:

قوة إنجازية حرفية: إيقاع الأمر بصيغة الدعاء لطلب المغفرة.

قوة إنجازية مستلزمة: الدعاء بالمغفرة يقتضي التوسل والرجاء.

2- الإلزاميات:

هي أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الإلزام طوعاً، بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، بحيث يكون المتكلم مخلصاً في كلامه، عازما على الوفاء بما ألتزم به، كأفعال الوعد، والوعيد، والضمان، والإنذار، وغيرها، وقد ورد منهما في سورة نوح ما يلي:

أ- التّرهيب:

"رَهبَ، رَهْبَةَ، ورُهْباً، بالضّم والفتح، ورهباناً: خاف، وأرْهَبَتُهُ، واسترهَبَهُ، أخافَهُ، وترهبَهُ، توعدَهُ" [24].

وفي الاصطلاح: هو كل ما يخيف، ويحذر المدعو من عدم الاستجابة له [25]، كإنذار نوح لقومه من عذاب قد يحل بهم إذا لم يؤمنوا بالله، وبالتالي ترهيبهم مّما قد يحل بهم.

ب-التّرغيب:

"رَغِبَ رَغْباً ورَغبَة، أراده، وأَرْغَبَهُ غيره ورغَبَةُ، والرغيبة، الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير" [26]، والتّرغيب "طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه" [27] وفي الاصطلاح: "هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه" [28].

وتتمثل القوة الإنجازية للأفعال الكلامية الدالة على الترغيب في ترغيب نوح لقومه في عبادة الله، وتقواه، واستغفاره، لما فيها من غفران ذنوب ورفع للعذاب، وإرسال للغيث النـــافع، وفيما يلي نموذج يبيّن القوة الإنجازيّة للإلزاميات في سورة نوح:

1- قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الفعل الكلامي: (أنذر) ويتكوّن من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول الفعل (أنـــذر) وموضـــوعه الفاعل المستتر، العائد على نوح –عليه السلام–والمفعول به قومك.

فعل إحالي: إحالة إلى نوح –عليه السلام–بالإشارة إليه بالضمير المستتر أنت.

فعلي دلالي: يتمثل في إيقاع الأمر بالإنذار للتحذير من سوء العاقبة [29].

فعل إنجازي: وتتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازيّة حرفيّة: وهي الأمر بالإنذار والتّرهيب.

قوة إنجازيّة مستلزمة: وهي أنّ الإنذار تنبيه وتحذير من سوء العاقبة.

2- قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾

الفعل الكلامي: (استغفروا) يتكون من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (استغفروا) وموضوعه الفاعل المتمثل في واو الجماعة.

فعل إحالي: إحالة إلى قوم نوح –عليه السلام– بالإشارة إليهم بواو الجماعة.

فعل دلالي: طلب نوح–عليه السلام–من قومه استغفار الله والتوبة إليه، للانتفاع بخيـــر الدنيا والآخرة[30].

فعل إنجازي: وتتكوّن حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازيّة حرفيّة: التّرغيب في الخير، بالاستغفار والتوبة.

قوة إنجازيّة مستلزمة: الإيمان بالله والتوبة يكون استغفاراً للذنوب وسبب للرزق.

3- التعبيريات (البوحيّات):

هي أفعال كلامية يعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الرّضا، والغضب، والسرور، والحزن، والنّجاح، وغيرها، وليس من الضّرورة أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وانعكاس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم[31].

وفي سورة نوح تشخيص للانفعالات النفسية والسلوكيات مثل الغضب، والنفور والاعراض وغيرها وفيما يلي نموذج يبيّن القوّة الإنجازية للتعبيريات:

1- قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾

الفعل الكلامي: (دعوت) ويتكون من:

فعل إسنادي: يتكون من محمول الفعل (دعوت) وموضوعه الفاعل المتمثل في الضمير المتصل العائد على نوح-عليه السلام-.

فعل إحالي: إحالة إلى نوح-عليه السلام-بالإشارة إليه بالضمير المتصل (التاء).

فعل إنجازي: وتتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: وهي عدم ترك دعوتهم في الليل والنهار امتثالاً لأمر الله وابتغاءاً لطاعته [32].

قوة إنجازية مستلزمة: الاجتهاد في الدّعوة يقتضي الإصدار والاستمرار في دعوتهم ليلاً نهاراً.

2- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾

الفعل الكلامي (اجعلوا) ويتكوّن من:

فعل إسنادي: يتكوّن من محمول الفعل (جعلوا) وموضوعه الفاعـل المتمثـل فـي واو الجماعة.

فعل إحالي: إحالة إلى الكافرين من قوم نوح-عليه السلام-بالإشارة إليهم بواو الجماعة.

فعل دلالي: سد آذانهم لئلاَّ يسمعوا كلام نوح -عليه السلام- [33].

فعل إنجازي: تتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: الإعراض والغرور بسد آذانهم والتعالي عن سـماع نـوح-عليـه السلام-.

قوة إنجازية مستلزمة: الإصرار على التكبر والتّمادي في الباطل يقتضي عدم سـماعهم لنوح -عليه السلام-.

4- الإخباريات:

هي أفعال تصف وقائع وأحداث في العالم الخارجي، وغرضها نقل المتكلم واقعة ما، من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة بشرط تحقيق الأمانة في النقل [34]، وفي السورة عـرض مشاهد لقوم نوح، وما كان من أمرهم في تلقي ومواجهة الرّسالة السّماوية، وقد جاءت أخبار هذه القصة من جهة عالمة، وسع علمها كل زمان ومكان، وفيما يلي نموذج يبين القـوة الإنجازيـة للإخباريات في السّورة:

1- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

فعل كلامي (أرسلنا) يتكون من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من الفعل الكلامـي أرسـل وموضـوعه الفاعل المتمثل في الضمير المتصل (نا).

فعل إحالي: إحالة إلى الله-سبحانه وتعالى-بالإشارة إليه بالضمير المتصل (نا).

فعل دلالي: أن الله–سبحانه وتعالى–أرسل نوحاً–عليه السلام–لينذر قومه من العذاب[35].

فعل إنجازي: وتتكون حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازية حرفية: الإخبار بإرسال نوح إلى قومه.

قوة إنجازية مستلزمة: التنبيه والتذكير للهداية إلى طريق الرشاد يقتضي إرسال الرسل.

2- قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾

الفعل الكلامي: (أغرقوا) يتكون من:

فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (أغرقوا) وموضوعه الفاعل المتمثل في واو الجماعة.

فعل إحالي: إحالة إلى الكافرين من قوم نوح بالإشارة إليهم بواو الجماعة.

فعل دلالي: كثرة الأخطاء والذنوب منهم سبب للعذاب بالإغراق في البحر وكذلك سبب لإدخالهم النار[36].

فعل إنجازي: وتتكوّن حمولته الإنجازية من:

قوة إنجازيّة حرفيّة: بسبب ذنوبهم نالوا عقابهم في الدنيا والآخرة.

قوة إنجازيّة مستلزمة: العصيان والتكبر والتمادي في الكفر يؤدي إلى سوء المصير.

الخلاصة:

1- إن الفعل الكلامي ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري.

2- يؤدي الفعل الكلامي وظيفة تداولية، حجاجية إقناعية تهدف إلى تصحيح وجهة نظر الطرف الآخر أو تعديل سلوكه أو موقفه.

3- اهتم أوستين بنظرية الأفعال الكلامية وركز على ضرورة مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقاً لمقامات التخاطب.

4- قدم سيرل مفهوماً للفعل الكلامي مغايراً لتقسيم أوستين، باعتماده على أسس اشـــترطها لهذا التقسيم تمثلت في: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، وشرط الإخلاص في صدق المتكلم.

5- اشتملت سورة نوح على أصناف متعددة للفعل الكلامي تمثلت في الطلبيات والإلزاميات والتعبيريات والإخباريات.

6- تنوعت الأغراض الإنجازية للفعل الكلام بحسب المواقف التي سيق من أجلها.

الهـــوامش:

القرآن الكريم رواية الإمام قالون.

(1) ينظر التداولية عند علماء العرب، مسعود الصـــحراوي، دار الطليعـــة، بيـــروت، ط: 1، 2005، ص40.

(2) ينظر المصدر السابق، 44.

(3) استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرساليات الاشهارية العربية، بلقاســم دفة، مجلة المخبر–العدد: 10، 2014، 492.

(4) ينظر: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم–مقاربة تداولية، بوقرومه حكيمة، الخطاب دورية أكاديمية محكمة –منشورات مخبر تحليل الخطاب–دار الأمـــل، العـــدد: 3، 2008، 11-18.

(5) ينظر المصدر السابق، 19-21.

(6) ينظر الفلسفة واللغة ، الزّواوي بغـــورة ، دار الطليعـــة – بيـــروت، ط1، 2005، 104، وينظر أفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة – دار المعرفة الجامعية، 2002، 60.

(7) ينظر بين تداولية الأفعال الكلاميّة والحجاج، مقاربة تداولية حمدي منصور جودي، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد:1، 2013، 100.

(8) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، 2002، 69-70.

(9) التداولية علم جديد في التواصل، آنّ روبول، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ط: 1، 2003، 29-30.

(10) ينظر بين تداولية الأفعال الكلاميّة والحجاج، 102.

(11) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي 78-80.

(12) ينظر المصدر السابق، 49.

(13) ينظر بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج، 104.

(14) ينظر التداولية عند علماء العرب 163-164.

(15) ينظر التحرير والتنوير-تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير كتاب المجيد، محمد طاهر بن عاشور، الدار التونسية 199/29.

(16) ينظر المصدر السابق 200/29.

(17) ينظر المصدر السابق، 202/29.

(18) المبسط في علوم البلاغة-محمد طاهر اللاذقي-المكتبة العربية-بيروت، لبنان، ط: 1، 2004، 52.

(19) المقتضب-المبرد، تح: عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 139/2.

(20) ينظر التداولية عند علماء العرب 150.

(21) ينظر التحرير والتنوير، 29/ 211-212.

(22) ينظر المصدر السابق، 29/ 208-210.

(23) ينظر المصدر السابق: 215/29.

(24) القاموس المحيط، مجد الدين فيروز آبادي، ترتيب الخليل مأمون شـــيحا–دار المعرفـــة، بيروت–لبنان، ط: 5، مادة رهب، 536.

(25) ينظر أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، قصر الكتاب، الجزائر، ط: 3، 437.

(26) القاموس المحيط، مادة: رغب، 517.

(27) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس الشدياق، دار الجيل–بيروت، ط:1، 1991، 415/2.

(28) أصول الدعوة، 437.

(29) ينظر التحرير والتنوير 186/29.

(30) ينظر تفسير ابن كثير، دار الحديث–القاهرة، 2011، 511/4.

(31) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي: 104.

(32) ينظر تفسير ابن كثير 511/4.

(33) ينظر المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

(34) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي: 103.

(35) ينظر التحرير والتنوير 186/29.

(36) ينظر المصدر السابق 212/29.